

ذيل وفيات الأعيان

المسمى

درر الديال في أسماء الرجال

تأليف

أبي العباس أحمد بن محمد المكاسي الشهير بابن الفاضل

(٩٦٠ - ١٠٢٥ هـ)

تحقيق

محمد الأحمدى أبو النور

الجزء الأول



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

تُعنى الأمم بدراسة تاريخ عظائها ، وذوى الرأى فيها من لهم تأثير
فى تطوير المجتمع ، وتغيير مسيرة التاريخ .

ولعل أمة من الأمم لم تبلغ عنايتها بالتاريخ ما بلغت الأمة الإسلامية .
ولقد تجلّى ذلك فى أمرين :

الأول : فى تلك الشروط التى لابد منها فى توثيق الرواية وقبول الأخبار
بوالى كان لعلماء الحديث القِدْحُ المَعْلَى فى ضبط أصولها ، وتحديد قواعدها .

والثانى : فى تلك الاتجاهات التاريخية المتخصصة والى يقصد فيها كل
مؤرّخ أن يقصر جهده على نوع بعينه ؛ تمييزاً له عن غيره ، واستيعاباً لمادته ،
وجمعاً للأشباه والنظائر ؛ حتى تتكامل الصور التى يكون بصدها ، ويقبىر
للباحث أن يفيد من هذه الدراسة المتخصصة والمستوعبة ما يهيمه أن يفيد منه
فى دراسته وأبحاثه ، دون تشقّت للجهد ، أو تضيق للوقت .

استنتاج

* * *

مقدمة

ولكلّ وجهة هو مؤلّيها ، ومنهج هو متبّعهُ ..

فمن المؤرخين من عُنِيَ بالتاريخ للسنوات والعصور ، ومنهم من عى
بالتراجم والأعلام ..

والذين عُنُوا بالعصور وتطوراتها ، والسنوات وأحداثها : منهم من

يؤرخ للفترة السابقة عليه ويضم إليها الفترة التي عاشها ، والوقائع التي عاصرها .
كما فعل الطبرى في « تاريخ الأمم والملوك » وابن كثير في « البداية والنهاية » .
ومنهم من يؤرخ لحقبة زمنية معينة كما صنع ابن حجر في « الدرر الكامنة »
في أعيان المائة الثامنة » ، والسخاوى في « الضوء اللامع » ، في أعيان القرن
التاسع » .

والذين يؤرخون للأعلام منهم من يُعنى بأعيان قطر معين كما فعل
الحميدى في « جذوة المقتبس » في ذكر ولاية الأندلس » والخطيب البغدادي
في « تاريخ بغداد » وابن عساكر في « تاريخ دمشق » .

ومنهم من يُعنى بالتاريخ لطبقة خاصة كما فعل ابن الأثير في « أسد الغابة »
في تمييز الصحابة » وابن حبان في « الثقات » من التابعين وأتباع التابعين ،
والسكلى في « طبقات الصوفية » وعياض في « المدارك » وابن السبكي في
« طبقات الشافعية » ، والذهبي في « طبقات القراء » ، والسيوطى في « نغية
الوعاء » ، في طبقات اللغويين والنحاة » .

ومن المؤرخين من يُعنى بالعطاء والمصلحين . أو القادة الفاتحين . أو
العلماء النابهين .



ولقد ترك لنا المؤرخون من أولئك وهؤلاء آثاراً حافلة ، وتراثاً ضخماً
ومادة علمية خصيبة غفيت بالمثل العليا ، والصور الحية ، والمثلثات الناطقة ،
والدروس المستفادة .

كم حدثونا عن دول نالت من اللقوة ، وبلغت من العظمة ، وطفئت
وبغت ، ثم دالت وهوت ١٩
وكم أثاروا أشجاننا معهم في أسباب تداعى هذه الدولة أو تلك ، بعد

تماسكها ، وضعفها بعد قوتها ، ثم ستوطأ فريسة بين براثن أعدائها ؟ !
لن في ذلك لعبرة . !

كم حدثونا عن قائد حالفه النصر في معركة أو معارك كيف انتصر ؟
وكيف كان يخطط لمركته ، وينظم جنده ، ويلقى عدوه ؟ !

وعن قائد هزم في معركة أو معارك : كيف ولماذا هزم ؟ !

لعلنا — بعد — نقوى أسباب النصر ، ونتوقى عوامل الهزيمة !

كم حدثونا عن أعلام الفقهاء والحديثين ، والأدباء والفقويين ، وسائر
العلماء والمؤلفين كيف درسوا علومهم ، وثقفوا عقولهم ، وكونوا في الحياة
فلسفتهم وآراءهم ، وأفادوا من عاصرهم أو سبقهم ؟
وكيف رحلوا وجابوا مختلف الأقطار ليحملوا العلم عن شيوخه ، ثم
يؤدوه إلى طلابه ؟ !

علنا نبذل الوقت والجهد والمال في سبيل العلم كما بذلوا ، ونستعين
بالصواب في طلب العلياء كما استهانوا :

وَمَنْ تَكُنْ الْعُلِيَاءَ هَمَّةَ نَفْسِهِ فَكُلُّ الْهَذَى يَلْقَاهُ فِيهَا مَحْبَبٌ

كم حدثنا المؤرخون عن أولئك الأعلام : كيف تأثروا ببيئاتهم
ومجتمعاتهم ثم أثروا — هم — في بيئاتهم ومجتمعاتهم ؟ وكيف خلفوا لنا من
المدارس الفكرية ، والتراث العالى مانحن في ميسر الحاجة إلى الكشف
عن نفائسه ، والتفتيح عن ذخائره ؛ لنعرف منه مدى ما لنا من أصالة
ومكانة ، ومدى ما يمكن أن نستفيد به الآن في إثراء الفكر ، وإرساء
القيم ، وتدعيم الحضارة !

درة الحجال

و « درة الحجالى ، فى أسماء الرجال » واحد من الكتب التى تعنى
بتراجم كثير من أعيان المشهورين الذين عاشوا ما بين أواخر القرن
السابع إلى أواخر القرن العاشر ، وأوائل القرن الحادى عشر ، ممن وعثم
ذاكرة مؤلف الكتاب .

وقد بدأه المؤلف بترجمة « أحمد بن خلكان » ليكون — كما قال —
كالذيل لوفيات الأعيان .

وقد أسهم ابن القاضى بتأليفه هذا مع من بنى على تأليف « ابن خلكان »
وذيل له^(١) .

١ — فقد ذيل لوفيات الأعيان : تاج الدين : عبد الباقى بن عبد المجيد
الخزومى المكي المتوفى سنة ٧٤٣ هـ بنحو ثلاثين ترجمة مع تزيف كلام ابن
خلكان ، وتنضيل ابن الأثير عليه

٢ — وذيله أبو الحسن : أحمد بن أبيك المتوفى سنة ٧٤٩ هـ

٣ — والشيخ زين الدين : عبد الرحيم بن الحسين العراقى المتوفى سنة ٨٠٦ هـ

٤ — والشيخ بدر الدين الزركشى المتوفى سنة ٨٩٤ هـ وسماه : « عقود
الجان » وذكر كثيراً من رجال ابن خلكان .

٥ — ومحمد بن شاكر بن أحمد الكتبى المتوفى عام ٧٦٤ هـ وسماه « فوات
الوفيات » وقال فى مقدمته :

وبعد فإن علم التاريخ مرآة الزمان لمن تدبر . ومثـ كآء أنوار يطلع بها

على تجارب الأمم من أمعن النظر وتفكر . وكنت ممن أكثر لكتبه
المطالعة واستعلى من فوائده المراجعة ، فلما وقفت على كتاب « وفيات
الأعيان » لقاضى القضاة « ابن خلكان » ، قدس الله روحه ، وجدته من
أحسنها وضعاً ؛ لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة ، والحاسن الكثيرة ،
غير أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء ، ورأيت أنه قد أخلّ بتراجم فضلاء زمانه ،
وجامعة من تقدم على أوانه . ولم أعلم أذلك ذهول عنهم ، أو لم يقع لهم
ترجمة أحد منهم ؟

فأحببت أن أجمع كتاباً يتضمن ذكر من لم يذكره من الأئمة الخلفاء ،
والسادة الفضلاء من وفاته إلى الآن ، فاستخرت الله تعالى ، فأنشأت لذلك
صدرى ، وتوكلت عليه وفوضت إليه أمرى . الخ .

وواضح من هذا ما دعا ابن شاكر إلى تأليفه : « فوات الوفيات »
وهو أن يكون استدراكاً لما فات ابن خلكان أن يذكره في وفياته ،
واستكمالاً لتراجم أعيان الحقبة التاريخية ما بين وفاة ابن خلكان (٥٦٨١هـ)
إلى قبيل وفاة ابن شاكر (٥٧٦٤هـ) .

وقد طبع فوات الوفيات بالقاهرة عام ١٩٥١ بتحقيق الأستاذ
الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

واشتمل على : ٨٤٦ ترجمة . جاءت وافية بالغرض الذى من أجله
ألف الكتاب .

إلى غير هذا وذلك من المؤلفات التى عنيت بالتدبير على وفيات ابن
خلكان والبناء عليه ، والتى كانت ذرة الحجال ، واحداً منها كما قدمنا .

ولئن كانت السمة العامة للذرة هى الترجمة لأعلام الحقبة التى أشرنا إليها ،

والتي تنظم أكثر من أربعة قرون إلا أن لها خصائص لا نجد بداً
من الحديث عنها فيما يلي :

خصائص الكتاب

١ — أن التأويخ فيه ليس لطبقة خاصة من الفقهاء أو الأدباء أو
النحويين ومن إليهم . وإنما هو للأعيان من سائر الطبقات ، وابن القاضى
يقول فى مقدمته :

« ولم أقصر فيه على العلماء والأدباء ، بل كل من له شهرة واستطار
على الألسنة ذكره ، من أولى الفضل والأعلام » .

* * *

٢ — العناية بالناحية الأدبية المترجم له أظهر من سواها .

ويبدو هذا فى حرص المؤلف على إيراد نموذج أو نماذج من شعر من
يترجم له . ونراه فى كثير من التراجم يقتصر على أن يقول بعد اسم المترجم :
« له نظم رائع » ويذكر طرفاً منه . وقد يعقب - بعد ذلك - بسنة الوفاة ،
وقد لا يعقب .

وانظر صنيعه فى ترجمة أحمد بن حماد الدين المعروف بابن هبة الله
ص ١٩ - ٢١ وأحمد بن سليمان بن مروان ص ٢٣ - ٢٥ .

فإذا ما أفاض فى ذكر أخبار المترجم له لم ينس فى كثير من الأحيان
أن يذكر إلى جانب ذلك طرفاً من شعر المترجم له .

وحسبنا دليلاً على هذا ما صنع فى ترجمة العلامة ابن حجر العسقلانى

(٧٧٣ — ٨٥٢ هـ) فقد أورد في ترجمته ص ٦٤—٧٢ من هذا الجزء خمسة وتسعين بيتاً من شعره . بينما لم يزد في التعريف به أن ذكر بعض مؤلفاته ، وأخذه النحسو عن ابن هشام ، والحديث عن أبي العباس الغباري ، ووفاته .

ولعل هذه العناية ترجع إلى أن ابن القاضى كان إلى جانب ما عرف عنه - أديباً وشاعراً - على ما سنذكر في ترجمته ، فويلع بإبراز هذه الناحية في عامة كتبه .

* * *

٣ — ليس في الكتاب استقصاء لتراجم أعلام تلك الحقبة التى أشرنا إليها : فابن القاضى ألف كتاباً قبل هذا سماه « المتقى للمقصود ، على ما أثر الخليفة أبى العباس المنصور » استطرد فيه إلى ذكر بعض الفضلاء الذين رأى أن الحاجة تدعو إلى ذكرهم . بيد أن « المتقى » ضاق عن استيفائهم وحصصهم ، فألف « الدرة » لتكون كاللحق « للمتنقى » لا يستقصى فيها ، بل يذكر من وعته ذاكرته - فحسب - من الأعيان الذين ضاق عنهم كتابه الأول ، وقد نص على هذا في مقدمته ص ٤ - ٥ .

* * *

٤ — الكتاب وإن كان خاصاً بتراجم الأعلام إلا أن المؤلف قد يستطرد فيه عقب إحدى التراجم إلى ذكر وقائع تاريخية هامة لا علاقة لها بالترجمة إلا أنها وقعت في سنة وفاة المترجم له ؛ يذكرها لأهميتها القصوى ، ومغزاها البعيد . كما فعل بعد أن ترجم لأحمد الجذامى الإسكندرى ص ١٣٨ فقد ترجم له فيما لا يزيد عن سطرين ، وذكر وفاته سنة ٧٠٩ ثم قال :

وفي هذه السنة في يوم الثلاثاء ثالث شهر ربيع الأول منها ... في أول دولة أبي الجيوش حاصر « البرجلوني » « المرية » وقائد أبي الجيوش عليها القائد « أبو مدين : شعيب بن شعيب » وعلى البحر : القائد أبو الحسين : على الرنداحي « والبرجلوني المذكور طاغية « أرغون » خذله الله وصل . في ثلاثمائة قطعة بين صغار وكبار ، حربية وسفارية . إلخ .

وأخذ فيما يربو على عشر صفحات يتحدث عن هذا الغزو الفادر وما حدث بإزائه من قصد وحمود ، ودفاع مجيد ، ومقاومة بأسلة ، وكيف تواكب المدد للغزاة حتى تمكنوا من إحكام الحصار ، ومع ذلك لم تن عزائم المسلمين ، ولم تضعف قواهم . . فكلمة أفاض الأعداء في المقاتلة ، اشتد المسلمون في المدافعة .

وظل ابن القاضي يتابع الحرب يوماً بيوم ، ويسجل أهم الأحداث في أهم الأيام إلى اليوم الثاني والعشرين من رجب من السنة المذكورة حيث كان آخر قتال ، ثم إلى الثاني والعشرين من شعبان حيث تم إرغام الغزاة على الانسحاب (ورد الله الذين كفرو بغيظهم لم ينالوا خيراً) ثم تحدث ابن القاضي عما حشد أهل بادية « المرية » حتى لا يؤخذوا مرة أخرى على غرة ، وعما يمكن أن يؤخذ من هذا كله من عظة وعبرة .

* * *

٥ — لم يلتزم المؤلف نسقاً واحداً في التعريف بالترجم ، فقد يقتصر في التعريف على ذكر اسم المترجم له ، وسنة وفاته كما صنع في ترجمة « أحمد الغرياني » ص ١٣ ، و « أحمد اللحياني » ص ١٤ . من هذا الجزء .

وقد يتوسط فيعرف بالمترجم له تعريفاً يشمل منشأه وأصله ، وخلقته ، وفضله ، وعلمه وفنه ، ومصنفاته وكتبه ، ومن أخذ عنهم ، ومن أخذوا

عنه وطرفاً من شعره ، وسنة مولده ووفاته كما فعل في ترجمة « أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي » ص ١٤ - ١٦ من هذا الجزء .

وقد يسهب في الترجمة ، فيفصل القول في التعريف بالمرجم له من جوانب شتى ، ولا يرى بأساً في أن يستطرد إلى شرح بعض المسائل العلمية التي تتعلق بالصنعة الأدبية في النماذج الشعرية التي أوردها . كما صنع في ترجمة « أبي العباس المنصور » . التي استغرقت أكثر من أربع عشرة صحيفة من هذا الجزء .

ولسنا نعيب عليه أن يتوسط في بعض التراجم ، ويسهب في بعضها الآخر ، ولكننا نأخذ عليه أن يستطرد إلى ذكر أمر لا حاجة بالكتاب أو بقرائه إليه ، وأن يوجز إيجازه ذلك المفرد في الاختصار عند التعريف له على ذكر الاسم والوفاة .

ولو جاز لنا أن نقبل هذا الإيجاز في بعض الأعلام المغمورين الذين يكفي ذلك في التعريف بهم ، فما أحسبنا نعتذر عنه ، أو نقبل صنيعه ذلك في أعلام مشهورين « كأحمد بن إدريس القرافي » (ص ٨) ، و « ابن عطاء الله السكندري » (ص ١٢) و « أحمد بن عبد الرحيم العراقي » الحدث (ص ٢١) ، و « أحمد النحوي » الملقب بالسمين (ص ٤٦) والأمير « برقوق » (ص ٢١٧) والسلطان تيمور لنگ (ص ٢٣٠ - ٢٣١) .

ولهذا كنت أعرف في التعليقات بمن لم يعرف به « ابن القاضي » أو أذكر من أخبار المترجم له ما قصر هو فيه . كلها تأتي ذلك لي وأشير إلى مصادر الترجمة لمن أراد أن يستوثق أو يستبحر في المعرفة بالمترجم له .

* * *

٦ - قد تتكرر الترجمة للشخص الواحد - في هذا الكتاب - كما

صنع المؤلف في الترجمة رقم ٢٦ (ص ٢٦ - ٢٧) لأحمد بن جزي الكلبى .
مقد أعادها أخصر من الأولى رقم ٨٠ (ص ٥٩) ولم يزد فى الموضوع
الثانى إلا النص على تحديد ميلاده .

* * *

٧ — قد تكون الترجمة من نقل ابن القاضى أو اختصاره عن غيره
فى المترجم ، غير أنه قد ينص عمن ينقل عنه ، أو يختصر كما فعل حين نص
فى ترجمة « أحمد بن يوسف بن عمر الحلبي » ص ٥٠ - ٥١ على نقل
قول السيوطى عنه فى « بغية الوعاة » .

وقد لا ينص ؛ كما فعل عندما نقل قول الخزرجى فى ترجمة « أحمد
ابن عثمان الزبيدى » ص ٤٨ .

وكما فعل عندما اختصر عن ابن حجر فى الدرر ما ترجم به لأحمد
بن ثور ص ٤٩ .

وكما نقل عن ابن الأعدل فى تاريخ الين قوله فى « أحمد بن إبراهيم
العسلى » ص ٥٥ دون أن ينسبه إليه .

ولهذا فنحن لا نستطيع أن نجزم بأن ما يترجم به ليس منقولاً عن الغير
حين يذكر الترجمة غير منسوبة لأحد .

لكنى أنسب الأقوال إلى قائلها ، وأرد الترجمة إلى أصولها ما استطعت
إلى ذلك سبيلاً ، كما سيتبين فى التعليقات .

* * *

٨ — لم يلتزم المؤلف ترتيب المترجمين ترتيباً دقيقاً لا بالسنوات

ولا بالأسماء . وإنما أورد الأعلام تحت عنوان الحرف الواحد كيفما اتفق ، فلم يصنع صنيع ابن حجر في الدرر الكامنة ، ولا صفيع السخاوي في « الضوء اللامع » و « التحفة اللطيفة » في تاريخ المدينة الشريفة » حيث رتب الأعلام بحسب الحروف والآباء والأجداد ترتيباً دقيقاً يسهل على الباحثين مهمة الحصول على طلبتهم من الأعلام في موضعها بين سابقها ولاتها .

ولم يفعل كما فعل الذهبي في « العبر » وابن العماد في « الشذرات » حيث رتبها التراجم في كتابيهما بحسب سنوات الوفاة ؛ تيسيراً أيضاً لمهمة الباحثين . وقد اعترف هو بذلك ثم اعتذر عن نفسه حيث قال في آخر مقدمته : « ولم أرتبه على ترتيب السنين بل كيفما اتفق ذلك في الحرف ؛ لأني جمعته من مقيداتي ، وعسر على جمع ذلك على السنين والله الموفق » .

* * *

ذلك . والكتاب من قبل ومن بعد — زاد تاريخي حافل — إذا استثنينا ما أخذناه عليه آفهاً — ثم هو ثروة أدبية ، نحيها بها في ظلال تلك الحقبة التاريخية الآهلة ، فنعرف عن أدبائها ونتاج قرائحهم ما يتكفل هذا الكتاب بإعطاء صورة حية عنه بهذه النماذج العديدة التي أوردها ابن القاضي في ثنايا صفحاته .

* * *

وإذا كان اختيار المرء قطعة من عقله ، فإن اختيار ابن القاضي في هذا الكتاب سواء فيما يتعلق بالأعلام وأخبارهم ، أو الأدباء وأشعارهم . **يبين** — ولا ريب — عن فكره وشخصيته ، وعلمه وثقافته ، في الفترة التي

ألف فيها كتابه هذا ، وسراه أعمق فكراً ، وأدق ترتيباً ، وأكثر شمولاً
في كتابه الآخر : « جذوة الاقتباس » ، فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس
القدى سنتحدث عنه في ثنايا الحديث عن مؤلفاته وآثاره — بعد أن نعرف
بِهِ ، ونترجم له .

فمن هو ابن القاضي ؟

هو أبو العباس : أحمد بن محمد بن أبي العافية ، المشهور بابن القاضي ،
المكناسي ؛ فهو منسوب إلى موسى بن أبي العافية ، ثم إلى مكناس بن
وصطيف كما حدث عن نفسه في « جذوة الاقتباس » وهو أيضاً من أهل
« مكناس » (بالمغرب)

نشأته :

ولد لها عام ٩٦٠ هـ ، ونشأ في بيت علم فكان أول تلقيه على أبيه ؛
عمر بن أبي العافية المتوفى بفاس سنة ٩٨١ هـ ثم أخذ عن أعلام عصره
سما بين المغرب والمشرق .

شيوخه :

فمن أخذ عنهم في المغرب : أبو العباس : أحمد بن علي المنجور الفاسي
(٩٢٦ — ٩٩٥ هـ) .

كان مستبحراً في كثير من العلوم ، لا سيما علم الأصول والمنطق ،
والتاريخ ، والبيان . وقد ترجم له ابن القاضي في هذا الجزء ترجمة ضافية
(ص ١٥٦ — ١٦٣) ذكر فيها كثيراً من أخباره وأشعاره ، ومناقبه
وآثاره ، ثم قال :

« ولقد أجاز لي جميع ما يحمله ، وجميع تأليفه ، وصارت الدنيا تصفر
بين عيني كلما ذكرت أكل التراب للسانه ، والدود لبنانه .. »

ولقد لازمته كثيراً من سنة ٩٧٥ إلى وفاته، رحمه الله. وما فارقتُه إلا زمن رحلتى للمشرق، وزمن أسرى فقط، أو مدة أقمتها بمراكش في حياته... إلخ.

وحديث ابن القاضى عن شيخه هذا فى سائر الترجمة ينبىء عن مدى ما كان 'يكن' له من إجلال وتوقير، وما كان يأخذ به نفسه من ملازمته ومتابعته، والاعتذار عن يسير مفارقتة.

وهو أمر ينبىء بدوره عن مدى تعلق ابن القاضى بالعلم، وحرصه على تحصيله وفقهه؛ فللازمة الأعلام، وذوى المثالة فى العلم حين تتجرد عن غرض الدنيا لا تكون لشيء إلا للإفادة منهم، والتجمل عنهم، وهى الطريقة المثلى لنشر العلم، وخلود الأثر!.

وقد كانت علاقة ابن القاضى بابن المنجور صورة رائعة لهذا الذى نقول.

• • •

ومنهـم : أبو العباس : أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن أقيـت التنبـيـكى الصنهاجى الفقيه المؤرخ المحقق .

له ما يزيد على الأربعين تأليفاً منها : « شرح على مختصر خليل » من الزكاة إلى النكاح ، و « فوائد النكاح ، على مختصر الوشاح » للسيوطى ، و « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » و كفاية المحتاج لمعرفة من ليس فى الديباج » كانت مكتبته تضم ألف مجلد وستائة مجلد . وكان يقول : أنا أقل عشرين كتباً .

توفى سنة ١٠٣٢ .

وقد انتفع ابن القاضى بشيخه هذا أيما انتفاع ولعل الناحية التاريخية كانت أظهر ما انتفع به منه .

• • •

ومنهم أبو عثمان : سعيد بن أحمد المقرئ التلمسانى (٩٣٠-١٩١١هـ)

كان مفتى تلمسان نحواً من ستين سنة ، وخطبها بجامعها الأعظم خمساً وأربعين سنة . وكان فقيهاً وراويَةً .

وعنه أخذ ابن القاضى الفقه والتاريخ .

• • •

ومنهم : أبو العباس : أحمد بن جيدة العالم الرحال الفقيه الأديب صاحب النظم الجيد ، والنثر الرائق .

توفى سنة ١٠٠٩

• • •

ومنهم : أبو الحاسن : يوسف بن محمد القصرى القاسى العالم الفقيه العارف بالله المؤرخ : ولد سنة ٩٣٧ وتوفى سنة ١٠١٣ .

ومنهم : أبو عبد الله : محمد بن القاسم القيسى الشهير بالقصار الفقيه المحدث ، المحقق شيخ الفتيا بقاس ، وخاتمة أعلامها .

له مؤلفات عديدة ، وفهرسة جمعت روايته في الفقه والحديث .

ولد سنة ٩٣٦ وتوفي سنة ١٠١٢

* * *

وممنهم : أبو عبد الله : محمد بن الشيخ أبو بكر ، الدلائلي . الإمام العالم العامل العارف بالله ، المستبحر في علوم القرآن والسنة والكلام ، انتهت إليه الرئاسة الإمامة والفتيا في زمنه .

قال ابن مخلوف في شجرة النور الزكية ٣٠١/١ :

وكان أعلام وقته كالشهاب المشرق ، وأبو العباس الفاسي (ابن القاضي) يقصدون زيارته ، والتبرك به ، ويراجعون في عويص المسائل ا هـ .

ولد سنة ٩٦٧ وتوفي سنة ١٠٤٦ هـ .

ومن هذا النص نستطيع أن نلمح مدى ما كان عليه أبو العباس بن القاضي ؛ فإنه لا تجوز مراجعة الأعلام وذوى الشأن في عويص المسائل ، ولا الغوص معهم في محيط العلوم إلا لمن كان ذا تمكن واقتدار .

ناهيك إذاً بابن القاضي ، وما كان له من مكانة في العلم ! ومثالة بين القوم ؟ !

* * *

ومن أخذ عنهم في المشرق ، إبراهيم بن عبد الرحمن العلقمي المصري الشافعي الأشعري ، المحدث الرواية الراحالة .

وقد ترجم له ابن القاضى ص ٢٠٣ — ٢٠٤ وقال : « أخذت عنه
« البخارى » - رواية - بمصر سنة ٩٨٦ بداره .. ثم ذكر طرفاً من إنشاده
لنفسه ولغيره ، وأنه توفى سنة ٩٩٧ .

* * *

ومنهم : أبو عبد الله : محمد بن سلامة البنوفرى .

من أعيان فقهاء مصر كان مشهوراً بالدين والورع ، وانفرد أخيراً
برئاسة المذهب وكان — على ما قيل — يتختم إقراء « مختصر خليل » في
أربعة أشهر ، ويمشى لرباط الإسكندرية أربعة أشهر ، ويحج في أربعة أشهر .
توفى في حدود سنة ٩٩٨ هـ

* * *

ومنهم القاضى بدر الدين : محمد بن يحيى بن عمر بن أحمد بن يونس
المصرى القرافى كان مشاراً إليه بالعلم والصلاح ورواية الحديث . تولى
قضاء المالكية بمصر كان — على ما قيل — أمثل قضاة ، شرح مختصر
خليل في أسفار ، وله حاشية على القاموس سماها « القول المأنوس » وله
تعليق على « أوائل ابن الحاجب » و « ذيل على الديباج » فيه تراجم
لأكثر من ثلاثمائة شخص ، وله شرح على « الموطأ » وله شعر حسن .

ولد سنة ٩٣٨ وتوفى سنة ١٠٠٨ .

* * *

على هؤلاء الأعلام وعلى غيرهم في الشرق والغرب تعلموا ابن القاضى وتغذى
بلبان المعرفة في الفقه ، والحديث ، والتفسير ، والتاريخ ، واللغة ، والرياضة ،
والأدب ، ثم غدا كما قال الكفنانى : « حافظاً ، ضابطاً ، محققاً ، مؤرخاً ، إخبارياً

شعة ، سَيَالُ القريحة بالشعر ، حسن العبارة ، لطيف الإشارة ، مستجعماً
لعلوم الأدب ، ماهراً في معرفة علوم الأوائل ، مشاركاً في غير ذلك ، وانفرد
بعلم الحساب والفرائض في وقته شرقاً وغرباً^(١)

* * *

ولقد كان ابن القاضي بعد تحميله للعلم وإعمال فكره فيه ، وتمثله لمسائله
حربصاً على أدائه ونشره ، ومن هنا كانت عنايته بالتربية والتدريس
ومنابرته على التأليف والتصنيف .

ولقد أثمرت مدرسته فتخرج على يديه الكثيرون ممن ترسم هديه ،
واقفني أثره ، وقاربه أوفاقه في تحصيل العلم ، وخلود الأثر .

فلا غرو أن مثل ابن القاضي — بالمدرسة الفكرية التي تأثر بها ،
ثم بتلامذته الذين صنعهم على عينه ، ودفعهم للعلم والعمل بتوجيهه —
لا غرو أن مثل ابن القاضي بأولئك وهؤلاء حلقة ضخمة في سلسلة الحركة
العلمية أنبعت بها حقول المعرفة ، فاستنارت البصائر ، وتطور المجتمع ،
وازدهرت الحياة .

وسنستدل على ما نقول بحديث خاطف عن بعض تلاميذه ومكاتبهم
وإنتاجهم بعد أن تحدثنا عن بعض شيوخه فيما سبق ، ثم نتبع ذلك : الحديث
عن مؤلفاته .

(١) في البيوافيت الثمينية ، في أعيان مذهب عالم المدينة : ٢٤ .

من تلاميذه

فمن تلاميذه : شهاب الدين : أبو العباس : أحمد بن محمد المقرئ .

ولد بتمسان ثم رحل إلى فاس والقاهرة .

كان محدثاً ، راوية ، متكلماً ، مؤلفاً محققاً ، عارفاً بالسير وأحوال الرجال ، آية في الحفظ والذكاء والأدب ، ثراً ونظماً .

وله مؤلفات عديدة تدل على سعة أفاقه ، وضبطه وحفظه منها : « نفح الطيب » و « أزهار الرياض » و « النفحات العنبرية ، في فعل خير البرية » و « إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة » و « عرف النشق ، في أخبار دمشق » و « الفث والسمين ، والرث والسمين » و « البداءة والنشأة » أدب كله و « الدر الثمين في أسماء الهادي الأمين » و « شرح مقدمة ابن خلدون » وغير ذلك .

وقد تولى الخطابة بجامع القرويين ، وحج خمس حجج ، وأقرأ هناك الحديث وغيره ، ورحل إلى دمشق فأملئ صحيح البخاري في الجامع الأموي وحاضر الآلاف هناك ، وتكلم بكلام في العقائد ، والحديث لم يسمع له نظير ، وأثر في الناس أي تأثير ، ثم عاد إلى مصر وبها كانت وفاته سنة ١٠٤١ هـ .

* * *

ومنها : أبو مالك : عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأنصاري الأندلسي الفاسي . الفقيه الأصولي ، المتكلم ، الفظار .

له تأليف عديدة : منها : « المنظومة المسماة بالمرشد المعين » و « شرح مورد الظلمان ، في علم رسم القرآن » و شرح على المختصر . من أثناء النكاح إلى السلم . وتقييد على كبرى السنوسية وغير ذلك .

توفي سنة ١٠٤٠ هـ

وممنهم أبو عبد الله : محمد بن أحمد ميارة .
الفقيه ، المستبحر في العلوم ، الثقة ، الأمين ، الورع .

مؤلفاته

أما مؤلفاته — عدا هذا الكتاب — فعديدة ، منها :

١ — المنتقى القصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور .

٢ — غنية الرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض .

٣ — المدخل في الهندسة .

٤ — نيل الأمل ، فيما به جرى بين المالكية والعمل .

٥ — نظم تلخيص ابن البناء .

٦ — نظم منطق السعد .

٧ — تقايد على جداول الخوفى .

٨ — الفتح النبيل لما تضمنه من أسماء العدد القنزيل .

٩ — فهرسة .

١٠ — لقط الفرائد في تحقيق الفوائد أو : لقط الفرائد من لفاظه

حلو الفوائد .

وقد ألفه كما ألف كثيراً من كتبه للسلطان أبي العباس المنصور، وجمع فيه تراجم من كان من أعيان القرن الثامن ، مرتباً على السنين إلى آخر القرن العاشر وجعله كالذيل لكتاب شرف الطالب في أسنى المطالب ، لابن قنفذ وهو كتاب جامع مختصر ينحو فيه منحى الذهبى في العبر . وهذا نموذج منه ، قال بعد المقدمة :

« سنة سبعمائة » .

توفى أبو العباس بن سرور ، قاضى الأنكحة بتونس ، له شرح على
المعالم الدينية ، وأحمد بن عبد المجيد المقدسى .. إلخ .

السنة الأولى منها من العشرة الأولى سنة إحدى وسبعمائة :

توفى أبو القاسم بن زرقون : والحاكم بأمر الله العباسى فى جمادى
الأولى ، ودفن عند السيدة نفيسة بنت زين العابدين ، وخلف ابنة المستفى ،
وأبو زكريا : يحيى اليفرنى .. إلخ .

السنة الثانية منها سنة اثنين وسبعمائة .

توفى الإمام : تقى الدين بن دقيق العيد : ولد بساحل « ينبع » من
أرض الحجاز : من نظمه :

لعمري لقد قاسيت بالفقر شدة وقعت بها فى حيرة وشتات
فانفدت بالشكوى هتكت مروءتى وأن لم أبح بالضر خفت مما
فأعظم به من نازل بملة يزيل حياى أو يزيل حياتى

والحسين بن طاهر بن رفيع الحسى .. إلخ .

ويقع الكتاب فى اثنتين وأربعين ورقة . وقد فرغ منه المؤلف
سنة ١٠٠٠ هـ ومنه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية رقم
٢٠٢٥ تاريخ

° ° °

وهو منظومة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين ،
وتواريخ الدولة الأموية ، والعباسية ، ودولة ابن الزبير . ودولة الشيعة في
إفريقيا ، والدولة الأيوبية . والأتراك التتركان من بنى عثمان ، ومن ثار
بالمغرب من الأدارسة . وانتهى فيها إلى دولة الشرفاء الينبوعيين ، ثم
الدرعيين بالمغرب .

وقد جعلها ذيلاً لكتاب « رقم الحلال ، في نظم الدول » للسان الدين
ابن الخطيب .

راجع فهرس دار الكتب المصرية رقم ١٠٢٧ تاريخ .

• • •

١٢ — « جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس »

وهو تاريخ لمدينة فاس : مدارسها ومصانعها ومبانيها وملوكها
وعلمائها وآثارهم العلمية والأدبية . وقد صنف - في الحرف الواحد - كل
نوع على حدة فهو في الأخدين يبدأ بالملوك فإذا ما فرغ منهم أخذ في
الحديث عن الفقهاء من أهلها . ثم يختم الحرف بالحديث عن الغرباء الوافدين
ثم يقول : من اسمه إبراهيم من الملوك .. من الفقهاء من أهلها .. ومن
الغرباء .. وهكذا .

وقد بدأه بمقدمة ذكر فيها سبب تأليفه للكتاب ، وترتيبه بين سائر
كتبه ومنهجه فيه فقال بعد الديباجة :

فلما خفف الله تعالى إصرى ، وفك من ربة العدو الكافر - دمره
الله تعالى - أسرى ، على يد الإمام المعظم ، والملك الأنعم إمام المسلمين .
وناصر الملة الحمدية والدين ، من لازال في مفرق الدهر تاجاً ، وبتحية
الملك على مر الليالي متاجي .. وهو الأسد المصور . والهمام المشهور ،
الشريف الحسنى مولانا : أبو العباس المنصور - خلد الله بملكه ذكره ،
وأعز يمينه ونصره .

وكنتم جمعت لإيالاته الكريمة تأليف تنوب عن شكرى لأبياديه
ونعمته ، ولتكون كالإقرار بمنته ، كالمتقى المقصور ، على مآثر الخليفة
أبى العباس المنصور ، و « درة الحجال » ، فى أسماء الرجال » و « درة
السلوك ، فىمن حوى الملك من الملوك » و « لقط الفرائد » من حقائق
الفوائد » فأردت إنشاء هذا أيضاً ؛ تجديداً لشكره اللازم ، ولأستدرك به
مافات من بعض الواجب اللازم ، فوضعت وسميته « جذوة الاقتباس » ،
فىمن حل من الأعلام مدينة فاس .

وانتقيت أن أذكر أولاً : المدينة ومحاسنها ، وما اختصت به ،
ثم بعد ذلك أذكر على حروف المعجم : ملوكها ، وعلماءها ، وأعلامها ،
وما لهم من نظم وتأليف ، ومن أخذوا عنه ، أو أخذ عنهم ، سواء كان
من الغرباء القادمين عليها ، أو من أهلها ، إلا أنى إن شاء الله تعالى أفرد
فى كل حرف ترجمة الغرباء الوافدين عليها ومن الله استمدادى ، وعليه
اعتمادى ، وهو حسبى ونعم الوكيل اهـ

وقد اشتملت تراجم الجذوة أعلام الخطبة ما بين سنة ٣٣٧ هـ إلى
منتصف القرن العاشر الهجرى .

وقد طبع فى فاس سنة ١٣٠٩ هـ طبعة غير محققة .

لهذا ، ولما للكتاب من مكانة تاريخية خاصة ، ولما ينبىء عنه مؤلفه
فيه من ذاتية فى التفكير ، واستيعاب للمادة ، وتركيز فى العبارة ، وتجنب
للإيجاز الخلل ، وتوخى للتصنيف والتنسيق ، اعترفت أن يكون تحقيق
« الجذوة » هو التالى للدرة إن شاء الله .

ولابن القاضى مؤلفات أخرى عدا ما ذكرناه ، وهى كما ترى فى
خروج شتى من المعرفة فى التاريخ ، والأدب ، والفقه ، والرياضة ، وعلوم
القرآن والسنة .

ولا ريب أنها جميعاً كانت أثراً لتقافته على الشيوخ الكبار ذوى
الثقافات العديدة ، والمكانة المرموقة .

تولية القضاء

تولى القضاء بسلا ، فحسنت سيرته ، وجمدت نزاهته .

محنته

وقصة الأسر التى يتحدث عنها ابن القاضى ويذكر أنها كانت سبباً فى
تأليفه أكثر كتبه واحداً بعد الآخر — يشير بها إلى المحنة التى حدثت له
وهو فى طريقه إلى الحج فى شعبان عام ٥٩٩٤ هـ حيث كان يركب إحدى
السفن فآثره قرصان الأسبان وأذاقوه النكال الأليم ، واتى منهم البلاء
العظيم : تجويعاً وتعذيباً .

ولعل أبا العباس المنصور كان له بأبن القاضى معرفة وثيقة . قدر بها حقه
ومكانته ، فما أن وافاه خبر أسره حتى كتب فى شأنه لقواد الثغور أن يبحثوا
عنه ويفتدوه حيث يكون ، وابن القاضى نفسه يعلل هذا فى كتابه المتقى
بتعلق همه أبى العباس بإخراجه من أسره تعظيماً لتقديره .

ولعل ابن القاضى لم يعلم بما اعتزم أبو العباس من طلبه وافتدائه ،
فأنشأ قصيدة يستعطفه بها ويستصرخه لإنجائه وفيها يقول :

تجلى عن العاني الأسير المكبل هموم سرت في الجسم في كل مفصل
بذكر الإمام الهاشمي الذي سما بسيمة خير الخلق في كل محفل
إمام العلي المنصور نور أئمة به قد تحلى كل جيد معطل
إمام همام همه طول همه ظبي باقة عين المعالي بصقل
وكم جاوزت الغايات حتى لو انه أراد الثريا أمها في التنزل

° ° °

فجز الليالي من سناه توقدت ضياء لنور بالخلافة - مشعل
زكى زهى للسماح سماؤه جناح لنسر النصل في كل محفل
إمام الهدى، بحر الندى، قسور الردى إلى المعنى والفاجر المتضلل

° ° °

بحق الذي أولاك ملكا فنجنى من الهلك يا قصد السبيل المكبل
وكن يا امام العدل في عون خائر أسير كسير ذى جناح مذل

° ° °

لقد مزقت أيدى الزمان وريده ودارت عليه للدائرات كججل
وأخى عليه الدهر من كل وجهة وداست عليه النائبات بأرجل

° ° °

فعاذك رب العرش يا ملك العلى ودمت إماماً في علاء مزمل
ولا زلت حجج المعتمدين وكمبة مطافاً لأهل الفضل في كل محفل

وأيا ما كان فقد افتداه أبو العباس المنصور بمبلغ كبير من المال دل
على أثر مكانته ، وعظم منزلته : افتداه بما يعدل عشرين ألف أوقية من

الذهب على ما ذكر ابن زيدان في اتحاف أعلام الناس بحمال حاضرة مكناس
٣٢٦/١ - ٣٣٧ بعد أن كان الأعداء قد طلبوا فكاهه بكلب تعنتا .
وكانت مدة أسره أحد عشر شهراً فلم يفرج عنه إلا في رجب
عام ٩٩٥ هـ .

وفاته

عاش ابن القاضي يطلب العلم ، ويسعى في تحصيله ، ويعنى بتدريسه
وتصنيفه ، والسير في الحياة على ضوئه ، ومات سنة ١٠٢٥ هـ بيد أنه بقي
بسلوكة وتأليفه زكي السيرة ، خالد الأثر !

أصول هذا الكتاب

وقد اعتمدت في تحقيق « الدرة » على نسختين أصليتين إحداهما
بدار الكتب المصرية رقم ٧٢٦٦ تاريخ وهي مكتوبة بقلم مغربي وتقع في
١٥٩ ورقة من القطع المتوسط وأشارت إليها بالرمز (ص) .
والأخرى مصورة على نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس وتقع في
١٧٧ لوحة من القطع المتوسط ومسطرتها من ٢٧ - ٢٩ سطراً ورقها
١٩٢٧ خ ، ٨٣١٨ ع .
وأشرت إليها بالرمز (س) .

وقد سبق أن طبع الكتاب عن بعض النسخ المحفوظة بالمغرب بتصحيح
(ي . س . علوش) الأستاذ بمعهد العلوم العليا المغربية ، وكان الطبع
برباط الفتح سنة ١٩٣٤ .

وهذه الطبعة وإن خلت من التحقيق العلمي الدقيق إلا أنني رجعت

إليها كذلك للمقارنة بينها وبين النسختين السابقتين ، وإثبات الفروق
بينها وبينها وتصويب ما يتأتى تصويبه ، وقد أشرت إليها بالرمز (م) .

وبعد :

فها هو الجزء الأول من « درة الحجال » بين يدي القارئ الكريم .

وقد بذلت ما استطعت من جهد في تقويم النص .

فإن أكن وافقت ؛ فذلك الفضل من الله .

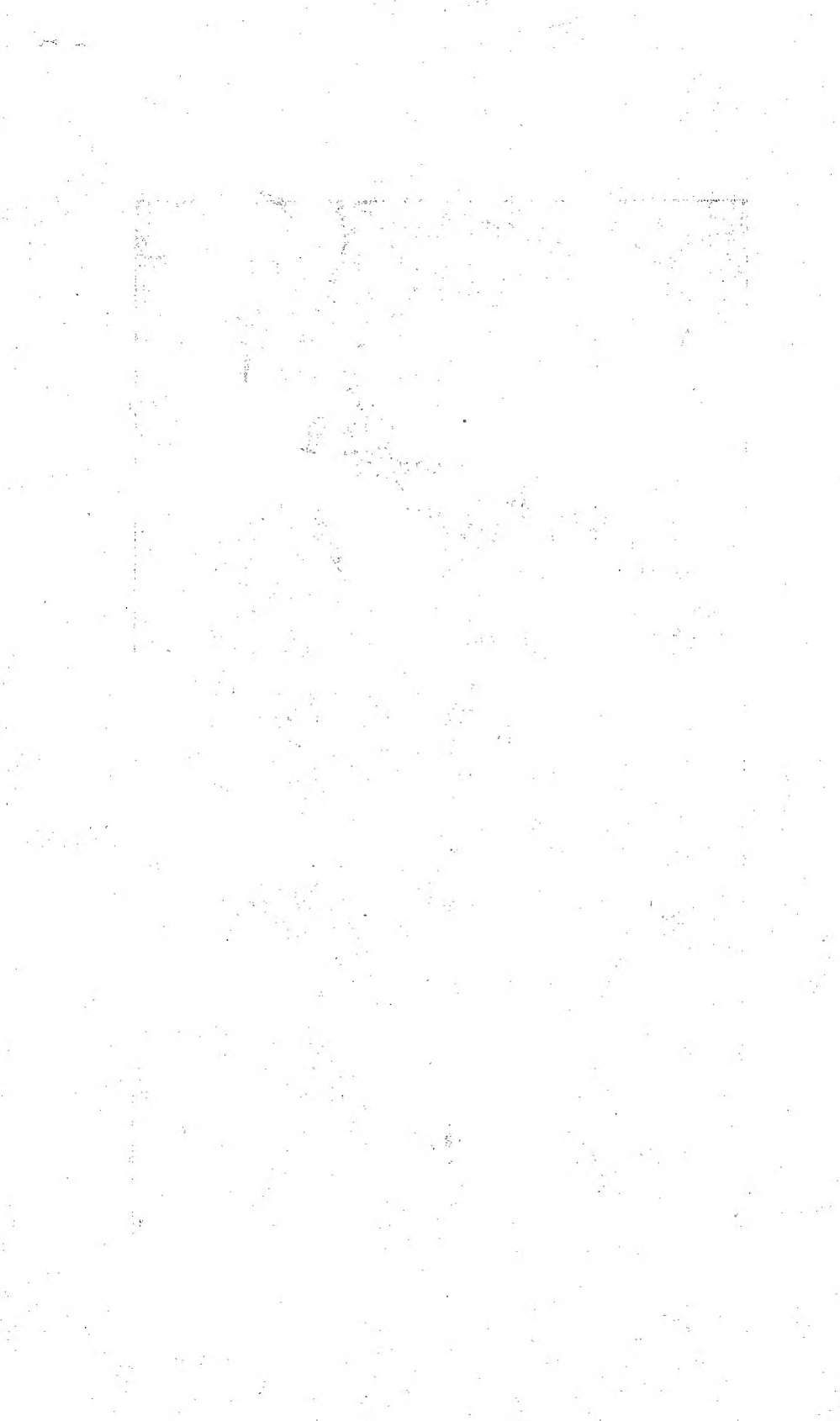
وإن تسكن الأخرى ، فإن الكمال لله وحده ، بيده الخير وهو على

كل شيء قدير ؟

الدكتور محمد الأحمدى أبو النور

القاهرة في } ١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٩٠ هـ
} ٢٦ يوليو سنة ١٩٧٠ م

[illegible]



[The page contains approximately 20 lines of handwritten Arabic script in Maghrebi style.]

